المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى، ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد ولد آدم، سيدنا محمد النبى الأمين، وعلى سائر إخوانه النبيين، وآل كل، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـد:

فهذه عجالة أقدمها عن الحشرات فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مذيلا إياها بما ورد عن الحشرات فى الأدب، وما يرمى إليه كل ذلك من دلالات، وتلك فكرة لها فى النفس جذور، فقد سيطرت فكرة الكتابة فى هذا الموضوع على ذهنى، واشتعلت جذوتها فى وجدانى منذ أمد غير قريب، يوم أن كنت طالبا فى السنة الأولى بكلية الزراعة ـ جامعة الأزهر ـ فى العام الدراسى ٦٤ - ١٩٦٥م، حيث كنت وزملائى نمثل طليعة التطبيق العملى لقانون تطوير الأزهر وهيئاته، وهو القانون المعروف بقانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١م، جئنا من المعاهد الأزهرية المنشرة فى ربوع مصر، جئنا وكلنا أمل فى أن نزاوج بين الثقافة الدينية والثقافة العملية، بما يعود علينا بالخير فى أنفسنا عن طريق استيعاب حقائق الدين، وبما يعود على الدعوة الإسلامية بالخير والازدهار، حيث نقدمها للناس فى ثوب قشيب، يعتمد على أساس متين من تراثنا الإسلامى، مع تطويع النتائج العملية الصحيحة والموثوق بها لخدمة هذا الهدف السامى النبيل، مستهدفين إزالة ما بين الثقافتين من فجوة مصطنعة أو جفوة مفتعلة.

وشاء الله ـ وما شاء الله كان ـ أن أجد ضالتى المفقودة، وبغيتى المنشودة، فى تتلمذى على أساتذة أجلاء، وسادة فضلاء، أتوا إلى أزهرنا المعمور وهم يحملون بين جوانحهم حبا عميقا لهذا المعقل يفيض على جوارحهم، وتنبض به قلوبهم، خبرة واسعة وعطاء بغير حدود، وتفان منقطع النظير، فكانوا يُصلُون الليل بالنهار،

آملين أن يعود للأزهر ـ فى المجال العلمى ـ مجده التالد، وعزه الخالد، وكأنى بهم يتمثلون قول شوقى فى مدح الأزهر:

ما ضرنى أن ليس أفقك مطلعى ... وعلى كواكبه تعلمت السُّرى
لَمَّا جرى الإصلاح قمت مهنئا ... باسم الحنيفة بالمزيد مبشرا

وقد تأثرت كثيرًا بأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور أحمد حسنين القفل، أستاذ علم الحيوان الزراعى، حيث وجدت فى محاضراته العامة والخاصة، وفى لقاءاته المثمرة، فضلاً عن مؤلفاته القيمة، وجدت فى كل هذا لونا جديدًا من الثقافة، يؤمن صاحبه إيمانا قويًّا، ويسعى جاهدًا لربط الحقيقة العملية بالأساس الدينى فى أسلوب علمى متأدب، وفكر رفيع منظم، أعانه عليه فقه لكتاب الله، وتمكن من ناصية البيان، مع نفس خاشعة لله.

فتاقت نفسى أن أحذوَ حذوه، وأن أسير على الدرب الذى بدأه، عرفانا بحقه، ووفاء لفضله، وعملا بالقول المأثور: **العلم رحم بين أهله**، وهى رحم موصولة مبلولة ببلالها إن شاء الله تعالى.

وضاعف من هذا الشعور لَدَىَّ ما لمسته ـ خلال دراساتى المتخصصة عن الحشرات ـ من حاجة المكتبة العربية إلى مراجعة دقيقة لما ورد عن الحشرات فى كتب التراث، مثل كتب التفسير المتخصصة، وشروح الأحاديث النبوية، والأدب العربى، مراجعة يتسنى للقارىء من خلالها وضوح الصورة، وتنقية المعلومات مما يشوبها ـ فى بعض الأحيان ـ من مجافاة للحقيقة، وبعد عن الصحة، يجعلها تجنح إلى الإغراب بدلا من الإعراب، مع تقديم صورة واقعية فى ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث العلمى فى هذا المجال، ذلك لأن العصر الذى نعيشه يعتبر ـ بغير جدال ـ عصر العلم والتقنية الحديثة، كما أن البُصَرَاء لا يقبلون من المعارف إلا ما يستند إلى العلم، وهو مطلب يقره القرآن ويؤيده، حيث يلفت الأنظار إلى التمسك بأسباب هذه القضية، فالقرآن فى حد ذاته مفصل على علم، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ (الأعراف: ٥٢).

كما يعيب على الخرَّاصين والمتمسكين بالظنون مسلكهم:

﴿ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٨)

إذا كان هذا واقعا إنسانيا، ومطلبًا دينيا، فحرى بنا إذًا أن نقدم المعرفة الصحيحة عن هذه المخلوقات بالأسلوب المناسب استجابة لداعى الله لنا بالتأمل الواعى والنظر الدقيق:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (يونس: ١٠١).

وإثراء لمعانى القرآن الكريم بما من شأنه أن يرد شارد الفهم إلى صوابه، ويزيد المؤمن إيمانا مع إيمانه، وحتى تنال المعارف العلمية شرف الانضمام إلى العلوم الخادمة للقرآن، وهى علوم اللغة وآدابها، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ (الجاثية: ٣، ٤).

ونسوق فيما يلى نموذجا لما نجده فى كتب التراث من تعريف الحشرات، يتضح من خلاله حقيقة ما نهدف الوصول إليه فى هذا الصدد، يقول كمال الدين الدميرى فى كتابه **(حياة الحيوان الكبرى)**: (الحشرات صغار دواب الأرض، وصغار هوامها، الواحدة: حشرة ـ بالتحريك ـ).

وهذا القول عن الحشرات هو ما يذهب إليه العامة وغير المتخصصين إلى يوم الناس هذا، فهم يطلقون هذه الكلمة على كل ما يصادفهم من هوام الأرض، سواء فى ذلك تلك التى تدب على ظهرها أو تأوى إلى جحور فى سطحها، وبخاصة ما كان منها ضارًّا أو دميم الخلقة، مثل العقارب والعناكب والزواحف أو حتى الضفادع، وهذا التعريف لا يكاد واضعه يستند إلى أساس علمى بقدر ما يعتمد على المعنى اللغوى والاشتراك اللفظى؛ حيث ارتبط معنى الحشرات فى أذهان الناس بالشر والقبح؛ لأن الكثير منها ضار، كما توسعوا فى هذا الإطلاق بحيث أصبحوا ينعتون بهذا الاسم أصحاب التصرفات غير اللائقة، أو من لا يؤبه بهم. ومن هذا القبيل ما نجده مبثوثا فى بعض كتب التفسير من تعاريف لأنواع الحشرات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، كالفراش والجراد والقُمَّل...

والحقيقة أن الحشرات قد أصبحت من الوضوح بمكان؛ نتيجة للدراسات والأبحاث المستفيضة عنها، بحيث لم يعد الحديث عنها مقبولا بهذا التهويم أو التعميم، فهى مجموعة كبيرة من الحيوانات قائمة بذاتها، لها من الخواص والمميزات ما يجب معه تخليص القول عنها من شوائبه، ويحق لنا أن نطلق عليها "أمة الحشرات" من منطلق قوله الله تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام: ٣٨).

ولقد أطلق الرسول ﷺ على الجنس الواحد من أجناس الحشرات أمة، كما ورد فى الحديث عن الجراد والنمل، فعن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"خلق الله عز وجل ألف أمة، منها ستمائة فى البحر، وأربعمائة فى البر، أول شىء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه" (رواه الترمذى وأبو يعلى)[1].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة فقرصته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أَمَر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم يسبحون الله - تعالى -؟! فهلا نملة واحدة!**" (رواه مسلم، ج ٥، ص ٩٧، ط الشعب).

وعليه فإن الكتابة عنها مع توافر المعلومات وتواترها تعين على تجلية غوامضها، وفهم الأسرار الدقيقة التى أودعها الله فيها، مما يجعل الفاقه البصير يُعْمِلُ فكره، ويشمر عن ساعد الجد ليَسْبُرَ هذا الغور، فلا يمر على الحديث عنها مر الكرام، وكل ذلك يحتاج وقفة دقيقة متأنية، تتضافر فيها الجهود المخلصة والمتخصصة لإبراز تلك المقاصد السامية.

وستظل الحشرات آية من آيات الله تظهر من خلالها عظمته لأهل كل عصر ومصر، فمن أراد أن يعرف قدر الدنيا عند خالقها فليستمع إلى سهل بن سعد —

---

[1] أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات ١٤/٣، وفى رواته من ضعفه أبو حاتم الرازى.

رضى الله عنه ـ إذ يقول: قال رسول الله ﷺ: **"لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء"** (رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم وصححه).

فإذا كان هذا التعبير قد ورد فى زمن تعد فيه محاولة وزن جناح البعوضة ضربا من الخيال، أو جريا وراء الأوهام، فإنه يظل صالحا لبيان حقيقة الدنيا فى زماننا هذا، الذى لا يستعصى فيه على الموازين الحساسة والإلكترونية تقدير ما هو أقل من جناح البعوضة، حيث قدمت لنا المجاهر الحديثة (الميكروسكوبات) من العون ما يوقفنا على حقيقة هذا الجناح، وأنه على دقته ورقته فيه من حسن الصنعة ما يجعله يشبه بصمة الأصابع بالنسبة للإنسان، فكل نوع حشرى له نمط خاص من الأجنحة يسهل التعرف عليه من خلاله شكلا وحجما وتركيبا ووظيفة.

وبالرغم من الجهود الجبارة التى قد بذلت لتنقية كتب التراث ـ فى كثير من الموضوعات ـ من الدخيل الذى شابها، والذى من شأنه أن يوقع الناس فى حيرة، كموضوع الإسرائيليات، وبالرغم من المحاولات الجادة لتوظيف حقائق العلم ومعطياته لفهم أسرار الكون، بالرغم من كل هذا فإن حظ الحشرات من هذه المراجعات ما يزال ضئيلا أو هامشيا، وربما يرجع ذلك لاستصغار شأنها، أو لأن تناول هذا الموضوع يحتاج إلماما بالثقافة الدينية والثقافة العلمية، وهذا سبب رئيسى فى هذا الموضوع.

ولكل هذه الاعتبارات وغيرها فقد استعنت بالله ـ تعالى ـ فى جمع شارد هذا الموضوع إلى وارده، متوخيا الترتيب الأبجدى لأسماء الحشرات أثناء العرض، مع ذكر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التى ورد فيها ذكر هذه الأسماء، ثم أتبع النص بشرح ميسر يختلف طولا وقصرا بحسب ما يتطلبه المقام، فهناك موضوعات اقتضى مقام عرضها أن يكون الشرح مسهبا كما فى البعوض والنحل والجراد، فى حين اقتضى مقام عرض موضوعات أخرى كالذَّر (النمل الصغير الأحمر) والقمل أن يكون شرحها موجزًا، مع تقديم الحقائق العلمية التى تميط اللثام عن أهمية هذا النوع أو ذاك، وأيضًا نقدم ما ورد فى الأدب العربى (شعرا ـ نثرا ـ وأمثالا) مما له كبير الأثر فى بيان خواص النوع أو أنماط سلوكه، مع تحسس موطن العبرة والعظة فى

هذا القول أو ذاك ، ولاشك أن ذلك يكون له أكبر الأثر فى نفس القارئ ، من حيث إمتاعه وتجلية الصورة أمام ناظريه ، وكل ذلك من خلال المراجع العلمية الثَّبْتَةِ وكتب التراث المعتمدة ، وللصدق فى القول فإننى قد ضربت صفحًا عن الحشو الذى ورد فى هذه الكتب عن الحشرات مما لا أجد طائلا من وراء ذكره ، كبعض القصص والوصفات العلاجية التى تحتاج تمحيصا وتدقيقا معمليا يعضد الأخذ بها.

ولقد تم ترتيب هذا الكتاب على مقدمة ، وبابين يحتويان على ثمانية فصول ؛ تناولت فى المقدمة أهمية هذا الموضوع ؛ بالإضافة إلى أهم البواعث التى دعتنى إلى الكتابة فيه ؛ كما قدمت للموضوع بمدخل للتعريف بالحشرات ، وبأهم العوامل التى ساعدت هذه المخلوقات الحيوانية على الاستمرار والانتشار فى ربوع الدنيا ، وكذلك تعرضت لبيان الأهمية الاقتصادية للحشرات ؛ حتى يكون القارئ غير المتخصص على بينة من الأمر ، كما أتبعت ذلك بحصر الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر الحشرات ؛ وأتبعت ذلك بتعليق على هذا الحصر ، وقدمت كذلك حصرا آخر للأحاديث الشريفة التى وردت الإشارة فيها إلى الحشرات ؛ أو إلى أجزائها أو فوائدها وأهميتها ؛ أو تلك الأنواع التى ورد ذكرها كمادة لضرب الأمثال ؛ مع الاهتمام بتخريج هذه الأحاديث ؛ ولقد اتضح لى أن السنة النبوية الشريفة تعتبر ميدانا خصبا فى هذه الناحية ؛ مما يمكن اعتباره أدلة مادية تدل على طلاقة قدرة الله تعالى ؛ كما لم تَفُتْنِى الإشارة إلى ذكر مقتطفات عن الحشرات مما حفلت به كتب التراث الإسلامى من معلومات وثيقة الصلة بالحشرات.

وقد راعيت فى ذلك كله عدم الاقتصار على تعديد المؤاخذات والمثالب التى تتعلق بالآراء الضعيفة فى هذا الصدد ، مع الاهتمام بالإشارة بل والإشادة بما يتفق من تلك الآراء مع المعارف العلمية الحديثة ، مع التنصيص على ما ثبتت مجانبتة للصواب أو بعد عن الحقيقة من هذه الآراء.

وقد حاولت جاهدا التوفيق بين ما أجده من تعارض فى فهم النص ، أو الاستدلال به مع الحقائق العلمية الثابتة والمستقرة ، ومن ذلك على سبيل المثال ما قمت بتوضيحه عند الحديث عن أصل الجراد ، وهل هو حقا نَثْرَةُ حوت فى البحر أو لا ؟ وكذلك تقديم رؤية واضحة لما هو معروف بأحاديث الذباب.

ومما لا شك فيه أن هذه المراجعات العلمية تتيح للداعية أن يقتحم هذا المجال العلمى بخطى ثابتة. كما وجدت من الضرورى أن أبين الحكمة من وراء ذكر الحشرات فى الكتاب العزيز والسنة النبوية، مع الهدف الرئيسى لهما فى الهداية والإرشاد وتوضيح العقائد والعبادات التى يتعبد الناس بها. أضف إلى ذلك أننا نعلم سلفا أن القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا كتبا من كتب العلوم.

كما قدمت صورة عامة عن الحشرات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، مع تسليط الضوء على جانب من الطرائف التى نلاحظها فى دنيا الحشرات. وحسبى من وراء ذلك كله أننى أدلى بدلوى فى الدلاء، وأقدم عملا أمتثل فيه قول رسول الله ﷺ: **"كل مسلم على ثَغرٍ من ثُغُورِ الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قِبَلِه"** وأيا ما كان هذا الجهد فهو حظ العاجز وجهد المقل، فإن كنت قد وفقت لما تاقت إليه النفس فذلك محض فضل من الله والله ذو الفضل العظيم، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت.

وبالله التوفيق، ومنه المعونة والهداية، وهو على كل شىء قدير.

أ.د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

أستاذ الحشرات الاقتصادية
كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر